

ضلعاً في اعمال ارامية . ولقد حضر جنازة الشيخ القسام في حيفا جمع غفير جدا ، وبالرغم من الجهود التي بذلها كبار المسلمين في توطيد النظام اثناء الجنازة الا انه وقعت مظاهرات وتذف احجار ، وبعثت وفاة القسام موجة قوية من الشعور في الدوائر السياسية وغيرها في البلاد ، وانتقت اراء الصحف العربية على تسميته بالشهيد فيها كتبت عنه من المقالات .. « (٧١) » .

وقد شعر البريطانيون بدورهم بالتحدي الذي مظه استشهاده القسام ، وحاولوا بدورهم شد عقارب الساعة الى الوراء ، ولذلك كان رأي المنسذوب السامي البريطاني الذي كتبه لوزير المستعمرات في تلك الفترة بانه ما لم تلب مطالب الزعماء العرب « فانهم سيفقدون ما يملكونه من نفوذ وتختفي بالتالي امكانات تهدئة الحالة الحاضرة بالوسائل المعتدلة التي اقترحها » (٧٢) . ولكن اعادة عقارب الزمن الى الوراء كانت مستحيلة ، فحركة القسام كانت تعبيرا في الواقع عن الشكل الطبيعي القادر على معالجة ازدياد التناقض وحسمه ، وسرعان ما انعكست في عدد من اللجان والتجمعات ، وصار يتعين على القيادة التقليدية ان تختار بين الوقوف في وجه ذلك التصاعد في ارادة القتال لسدى الجماهير ، او في امتصاص هذه الرغبة والنكلس فوقها . وبالرغم من ان البريطانيين تحركوا بسرعة ، فعرضوا فكرة اقامة مجلس تشريعي وفكرة الحد من بيع الاراضي الا ان ذلك جاء متأخرا ، واسهمت الحركة الصهيونية التي بدأت في تلك الفترة بتطور ارادتها بصورة قوية في اضعاف فاعلية العرض البريطاني ، ومع ذلك فان قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية لم تكن قد حشمت موقفها بعد ، وكان تذبذبها بارزا بصورة تدعو للدهشة ، وحتى ٢ نيسان ١٩٣٦ كان ممثلو الاحزاب الفلسطينية مستعدين لتشكل وفد للذهاب الى لندن لطرح وجهة نظرهم امام الحكومة البريطانية . وقد انفجر الموقف قبل ان تقدر قيادة الحركة الوطنية لتجسره . فحين اندلعت شرارة شباط ١٩٣٦ في يانا كان زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية يعتقدون انه ما زال بوسعهم ان يكسبوا من بريطانيا مطالب جزئية عن طريق المفاوضات . ولكن الاحداث التالية ما جأتهم : ان جميع القريين من احداث نيسان ١٩٣٦ يهتفون بان اندلاع العنف ، والمصيان المدني ، كان

غفويا ، واذا استثنينا الاعمال التي حركها بقايا القساميين ، فان كل ما حدث كان تعبيرا مغفويا عن المستوى الحرج الذي وصله التناقض . وحتى عند اعلان الاضراب العام في ١٩ نيسان ١٩٣٦ كانت زعامة الحركة الوطنية متخلفة عنه ، ولكنها سرعان ما تعلقت بالقطار قبل ان يفوتها ، ونجحت — للاسباب التي ذكرناها في تحليل الوضع الاجتماعي السياسي في فلسطين انذاك — بالسيطرة على الحركة الوطنية .

كانت الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة ، من الناحية التنظيمية ، في عدد من الاحزاب هي في مجملها الاقرايات التي تبقت عن الحركات التي نشأت ضد العثمانيين منذ اوائل القرن ، وهذا يعني انها — من جهة — لم تكن متمسكة بالنضال الاستقلالي (مثلا كان الحال في مصر مثلا) ويعني — من جهة اخرى — انها كانت اطارات عابسة ، دون مبادئ محددة ، تحكها شلل من الوجاه ، وتعتمد على ولايات متحدرة اليها من نفوذها الديني او الاتطاعي او الوجاهي ، ولكنها لم تكن احزابا لها قواعد منظمة . وفيما عدا القسام نفسه (والشبيوعيين طبعاً) فان احدا من زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية في هذه الفترة لم يكن مسلحا بعقل تنظيمي . اما الحاج امين الحسيني ، الذي كان يمتلك قدرات ادارية نادرة فقد كان عقله بعيدا عن العقل التنظيمي بالمعنى النضالي . وان المسؤوليات التنظيمية ظلت في معظم الوقت مواهب فردية في اللجان الفرعية والكادر الاوسط ، وغالبا ما كانت تعجز عن تحويل كفاءتها الى توائين . عشية الثورة كان وضع ممثلي الحركة الوطنية في فلسطين كالتالي : فمع انحلال اللجنة التنفيذية العربية في آب ١٩٣٤ برزت ٦ مجموعات :

- ١ — الحزب العربي الفلسطيني ايار ١٩٣٥ ، يرئسه جمال الحسيني ، وهو ممثل تقريبا لسياسة المفتي ويمثل الاتطاعيين وكبار تجار المدن .
- ٢ — حزب الدنماع الوطني ، يرئسه راقب النشاشيبي ، وتأسس في كانون الاول ١٩٣٤ ، وهو يمثل البورجوازية المدنية الناشئة ، وكبار الموظفين .
- ٣ — حزب الاستقلال الذي كان قد تأسس عام ١٩٣٢ برئاسة عوني عبد الهادي ، وهو يجمع المثقفين والبورجوازية الوسطى وبعض تطامعات البورجوازية الصغيرة ، ومساعد ذلك على